عبد الرزاق عبد الواحد

يا سيدي المتنبي

موكـــل بـك .. لا سفـح ، ولا قمـــم ... ولا فنـــار فاستهـــــدي ، ولا علـــــم
وحدي وصوتـــك يطويني وينشرنـــي ... الريـح .. والعصب المشدود ، والقلـــم
ومعبَر الصهـوات الالف ، والعـــــدم ... والخيـل والليـل والبيـــــداء والاكـم
وانت تخفـــق مثـــل البـرق منتفضـاً ... تنشـق عنـــك الديـاجي ثـــم تلتحـم
حتـى اذا انجـاب عـن عيـن غشاوتهـا ... لا شيء الا هزيـــم الرعـــــد والظلم !

* *

لا اكتمنك ، حدّ « المغـــرب » انعقـدت ... حولـــــي ظلالـك تغرينـــي وتعتصـم
جلسـت للبحـــر مأخـــوذا برهبتـه ... وكـان بيني وادنـى موجـــه قَـــدم
وكنـت ارقـب .. كان البحر في رئتي ... وفي عروقـي ، وفـــي عينـــيّ يلتطـم
الله ! .. كم كـان ضخمـا فـي مروءته ... وكم تأبّد فيـــــه النُبل والقِـــدم
واللانهاية ، والمجهول ... ثـــمّ سرت ... بـي رعشة .. كنت عرض البحر ترتسم !

* *

موكل بك .. ليت الارض تـوقف مـــن ... مدارهـا .. تسكن الاجـــرام والسّدَم
وتستعيـد نهايـات بـــدايتهـــا ... للحظـــة .. تنهض الاكفـــان والرّمـم
تستعرض الارض مـا ابقت ، وما اخـذت ... منهـا ، وما نـال مـن سيمائهـا العـدم
اذن مددت يـدي مـا اسطعت امسك من ... اذيـــال ثوبـك والاجسـاد ترتطـم
يا سيدي المتنبـي ..!.. انت تسمعني ؟ ... انـــي هنـــا بمهَـبّ منـك معتصـم
بلـى عرفتُـك .. هـذا الوجه اعرفـه ... هـــذا الشمـوخ الذي ما زال يتهـــم
يا هائـــل الفيظ ، يـا وجـدا أكابـده ... يا مفزعـــا لـم تلبّـد مثلـه اجَـم
بلـى عرفتُـك ، جـرحـي كيف اجلهـه ... الشعـر والكبـــر والاحبـاط والالـــم
والهيبة التكتـم الانفـــاس اعـرفهـــا ... هـذي العـواصف والطوفـان والـرّجـم
من أيـن اخطئهـــا يا سيـــدي وبهـــا ... بمثلهـــا زلـــزلت زلزالهـــــا أرم !

* *

ويصخب الموج .. أصغـي للهدير .. هنا ... سحابـة مثـل جنـح الليـل تـــزدحـم
لا استبيـن سوى افواهـهـــا .. وهنـــا ... خلـق صغـــار علـى اجـداثهم رُكِمـوا
يا سيـدي المتنبـي .. من سعيت لهـم ... ومِن سعـوا بك هل .. هل هؤلاء همـو ؟
انـي رايت رؤوسـا لا وجـــوه لهـــا ... كأنمّـا هـم بختـم واحـد خُتِمـوا
اهؤلاء الذيـــن استنفـــروا حقبـــا ... اسمـاءهم .. جيّشـوهـا مثلمـا حلموا
حتى غـدت وفجـاج الارض ضيقـــة ... عنهـــا ، تُغيـر ولا سرج ، ولا لـجمُ
مـاذا تبقـى لها ؟ .. هذي المسوخ هنا ؟! ... عـدّ المسامـــات في اجسادها تهـــم ؟
يـا بؤس مـن حكمـوا يومـا عليك وهـا ... اليـــك انـــت بمـــا نالـوك يُحتَكم !

* *

يا سيدي المتنبّي ، كـــلّ ممتحـــن ... مثلـي بمثلـك ادنى صفـــوه حـــرم
زلـزلتنـي ايّ زلـــزال وأرمضـــه ... انـي وهـــداة روحـي فيـــك اختصم

* *

يا سيدي المتنبي ، كلّ غائلة ... تهون الا التي تضوى بها الشيم
ساءلت يوما اخا الدنيا مكابرة ... كيف استوت عنده الانوار والظلم
الان أنبيك انا من غرابتنا ... اضحى ضحانا دجى ، والضحوة ، العتم
الان انبيك ان القوم من عمه ... صاروا يرون اعزّ الكسب ما يصم
هذا زمان معايير النبوغ به ... عينان لا ينثني جفناهما وفم !
تزهو اراذله في كل مجمرة ... بأنهم دون باقي اهلهم سلموا
صار الشهيد ملوما في شهادته ... لانه لم يُعلّم كيف ينهزم !
يا سيدي المتنبي ، في مرابعنا ... يُستمطَر الجرح لا تُستمطر الدّيم !
يا سيدي المتنبي ، في مضاجعنا ... صار الرضيع على اسم الثأر ينفطم
صرنا لفرط عذابات وموجدة ... نبكي دما انه لم يتبعه دم !

* *

أعيذك الان من صوتي فان به ... مرارة كبريائي سيلها العرم
لئن مضيت بما لم تجن متهما ... اذن فدعني بما اجنيه اتهم !

* *

يقال عنك عتيّ في تجبّره ... وعندنا كل شبر فوقه صنم
وقد تجبّرت اعجازا ومقدرة ... بينا تجبّر فيها العيّ والصمم
وهل تنبّأت حقا ؟ .. انني كلف ... بكل ما جئته : الابداع والحكم
هم سيدي انبياء غير انهمو ... يوحى اليهم بما تندى له القيم

* *

يا سيدي المتنبي ، من ذراك أجل ... عينا وقل لي : رأيت الناس كلهمو ؟
اذن فأنت ترى فيما ترى حلبا ... ترى أحفّت بسيف الدولة الامم ؟
وهل تجيش له خيل مسومة ... وهل يرف على هاماته علم ؟
ام انه الان مُرخاة أعنّتُه ... وسيفه في بقايا غمده حطم ؟!

* *

يا سيدي المتنبي لا اقول كما ... قالوا ، ولا ازعم الطهر الذي زعموا
لكنني امضغ الكبريت من غضبي ... وكنت قبلي بالكبريت تأتدم
ترى انضحك ام نبكي ؟.. مكابرة ... أنا ترمّضنا البلوى ونبتسم
ان راعك الدهر مذموما بذي ورم ... بادٍ ، فهذا زمان كله ورم !
كم مُدّعٍ كرما فينا يؤيده ... ان الكرام من التكذيب تحتشم !
شرّ المصائب ما صرنا نخفّفه ... بأن يعمّ ، وانا فيه نقتسم !
وشرّ ما يَرِث الانسان عن دمه ... اذا اريق دموع الناس والنّدم !
متى يُقال لتلك الخيل حيّ هلا ؟ ... متى مروءة بعض الناس تحتدم ؟
ان لم يُشبّ لهذا الزمهرير لظى ... متى اذن كل نار العرب تضطرم ؟

* *

لا سيدي ، حسبنا ! .. لا تلتفت قلنا ... في كل ناحية من ارضنا ذمم
هي المرارة ، امّا اجهضت رحما ... منّا فلا بدّ يوما يُخصب الرّحم
ويصخب الموج ... يطفى الماء .. يغمرني ... شيئا فشيئا .. يكاد الصوت ينكتم
يا سيدي المتنبي ... انني تعب ... فكيف انت..؟.. ويمضي الصوت والحلم
واستفيق ، فألفي الارض دائرة ... وقد هرمت ولم يعلق بك الهرم !